عروبة الجزائر

بقلم الدكتور احمد الجواري

يوم قامت ثورتنا العربية في الجزائر ، طاف فريق من قادتها بعواصم العرب ، وسعدنا بلقاء نخبة طيبة منهم، فكان ذلك اللقاء فاتحة معرفة مباشرة بهؤلاء الاخوة الذين حال الاستعمار بينهم وبين اخوتهم في المشرق العربي بخاصة . ولقد عرفنا في اولئك الاخوة ملامح شعبنا العربي في الجزائر ، وحل الاطمئنان في نفوسنا محل القلق ، وقلنا ان قرنا ونصف قرن من الحكم الاستعماري الارهابي البغيض لم يستطع ان يغير من حقيقة هذه الامة الا بعض المظهر .

وكلما جرت الثورة الجزائرية في طريقها المرسوم اتضحت للعرب وللعالم ملامحها العربية الاصيلة ، واقتنع القاصي والداني بانها ثورة شعب يابى ان يمسخ له الاستعمار حقيقته ، ويرفض ان يستجيب للاغراء او يتردد خوفا من الارهاب .

ويوم لاحت بشائر النصر في آفاق الجزائر ، ووقف شعبها البطل يابى ان يسلم ببعض اهداف الثورة ، واعلن انه متمسك بكل تلك الاهداف تيقن الجميع ان هذا الشعب هو الرقيب العتيد الذي لايغادر كبيرة ولا صغيرة من امور ثورته الوطنية العربية الا احصاها .

وكان يوم النصر ، وتسلم الشعب زمام اموره ، فسمع كل ذي سمع وشهد كل ذي بصيرة كيف استطاع هذا الشعب العربي الخالد ان ينتصر على ارهاب المجرمين من عصابة الجيش السري حتى القى بها وبمن وراءها في عرض البحر الى حيث لاامل في العودة .

ويوم دعانا ممثلو هذا الشعب العربي ان نشاركهم الفرحة بعيد النصر ، كان السرور بذلك اعمق من ان يصفه قلم او ينطلق به لسان . وتمثلنا الجزائر وتصورنا شعب الجزائر بطلا رفع رأسه واقام قامته واقبل يسير في طريق البناء كما سار من قبل في طريق الحرية تحدوه اصالته وصفاء طبعه ، ويقوده الى المستقبل هدف واضح وطريق لاحب مستقيم .

ووصلنا الجزائر ونحن اول من يهبط تربتها من المشارقة بعد ان تحررت وملكت امرها ، فكان اللقاء ابلغ من كل وصف .

ولقد شهدنا من وعي اخوتنا في الجزائر ماقنعنا بعقم محاولات الاستعمار في فصم عرى الاخوة بين ابناء الامة العربية ، وفشله في مسخ حقيقة هذا الشعب .

وكلما سرنا في احياء الجزائر العاصمة شهدنا من عواطف اهلها كل عاطفة صادقة وشعور فياض .

ولعل من اروع تلك الصور صورة ذلك الشيخ الذي لقيناه ونحن نبتاع بعض لفائف الدخان ، وادرك اننا من المشرق فوقف ينصت لحديثنا ودموعه تتحدر على لحيته البيضاء الناصعة ، وملامح وجهه الاغر الوقور تنطق بالفرح وحين فرغنا سالني من اي البلاد انتم ، فأجبته نحن من العراق اخوة لكم من المشرق ، فامسك بنا يقبل ويضم ، ودموعه تتحدر ، ثم يرفع نظارته يمسحها ويعيدها مرات، واخذ بايدينا الى مشرب قهوة ، وصار يحدثنا عن شوقه الى المشرق وكيف حيل بينه وبين زيارته منذ ان حج الى بيت الله الحرام قبل خمسة وخمسين عاما ، وحين ودعناه كان الوداع مؤثرا ابلغ تأثير وهو يدعو الله ان يوفقه لزيارة اخوته العرب في المشرق .

وحيثما سرنا في الجزائر العاصمة كنا نلمح العروبة تنبت في هذه المدينة التي ارادها الفرنسيون جزءا من بلادهم ، كما ينبت الكلأ يسقيه الغيث وتشرق عليه الشمس فتمنحه دفئا ونماء . وكنا نشهد من جهد الاخوة الجزائريين في تعريب اسماء الشوارع والمخازن مشاهد بعضها طريف يبعث في النفس فرحا مشوبا بالفكاهة المليحة .

ولست انسى ان احدهم سمى محل بقالته هكذا :

دكان ادخلوا مرحبا ، وهو بالفرنسية : Epicerie Bon Accueil

ولن انسى وجه فتاة جزائرية صغيرة لقيتها في منطقة لم اقدر ان اجد فيها من يحسن العربية . وسألتها بالفرنسية عن مكان اقصده . فأبت الا ان تجيب بالعربية.

ولقد عبر عن هذا الواقع الجزائري رئيس الحكومة السيد احمد بن بله حين قال : اننا كافحنا سبع سنين ونصفا لنعيد لهذا البلد عروبته واسلامه ، ونحن ماضون في ذلك بالروح الثوري الذي انتصرنا به على الاستعمار .

ولو شئت ان استرسل في هذه الصور لضاق المقام ، ولكن حسبي ان اقول ان جزائرنا العربية ماضية في طريق الثورة للبناء والاعمار حتى تعود اليها عروبتها الاصيلة ، وهي سائرة في طريق العمل للشعب بالشعب ، الشعب هو البطل الذي انتصر ، وهو الذي قاد وخاض المعارك .

وهو اليوم يعمل لنفسه ، ويعمل لامته العربية التي يدرك اوضح ادراك ويعي اعمق وعي انه جزء منها ، بل هو في طليعتها في حركتها الى تحقيق اهدافها في الوجود الموحد والحياة الحرة الكريمة .

احمد عبد الستار الجواري